

مارتن لوثر كينغ

1968 – 1929

يعتبر مارتن لوثر كينغ أحد أكبر رموز النضال في الولايات المتحدة الأميركية دفاعاً عن حق الزوج والملونين في المواطنة الحقيقية أسوة بالمواطنين البيض. سبقه إلى النضال كثيرون. لكنه كان الأكثر وضوحاً والأكثر عزمًا وحزمًا في خوض المعركة حتى نهاياتها. وكان لدوره خصوصاً ولأدوار أخرى من أفراد ومؤسسات أثر كبير في التعديلات التي لجأت إليها الحكومات الأميركية للدستور في اتجاه إلغاء الفصل العنصري أو التخفيف منه. لكن أهمية الدور الذي تميز به مارتن لوثر كينغ هو أنه تابع المهمة في الولايات المتحدة وخارجها وفي مختلف المحافل الدولية بصلاية وشجاعة. ودخل السجون. وواجه حملات التشويش عليه والتحريض ضده. وقادته صلابته وقاده إيمانه القاطع بتحقيق حلمه بتحرير أبناء جلدته تحت شعار "أنا عندي حلم"، قادته إلى احتلال موقع مرموق عالمياً كان أحد أشكال التعبير عنه منحه جائزة نوبل للسلام. لكن نضاله الكبير قاده إلى حتفه عن طريق الإغتيال في عام 1968 وهو يستعد لإلقاء خطابه في حشد كبير. إنه قائد ثورة بكل المعاني. وكانت وسيلته المفضلة لديه في ثورته هي اللا عنف الذي اكتسبه من سيرة زعيم الثورة الهندية التاريخي المهاتما غاندي.

ولد مارتن لوثر كينغ في عام 1929. كان أبوه يعمل قسيساً في مدينة أطلانتا في الولايات المتحدة الأميركية. وقد أسس جده لوالده فرعاً للجنة القومية لتطوير الشعب الملون في أطلانتا. وحين كبر كينغ سار في طريق والده كرجل دين مسيحي مستخدماً مسيحيته وسيلة لإحداث التغيير الاجتماعي في حياة الأميركيين الأفارقة. وكان قد تلقى تعليمه الديني في كلية مور هاوس. وقد شجعه مدير المدرسة على الإستمرار في التعليم الديني لخدمة المجتمع حتى يصبح قسيساً. تخرج في عام 1948 والتحق بالمدرسة اللاهوتية في بلدة شستر حيث حصل على درجة تعليمية أكبر. وواصل تعليمه بعد ذلك حتى حصل على درجة دكتوراه في اللاهوت

من جامعة بوسطن في عام 1955. صمم أثناء دراسته للدكتوراه على أن يتولى رعاية كنيسة السود في مقاطعة مونتغمري في ولاية ألاباما.

بعد خمسة أيام من الحادث المعروف الذي رفض فيه جلوس روزا باركس في حافلة ركاب مخصصة للبيض تم انتخاب كينغ رئيساً لرابطة "التحسين" في مقاطعة مونتغمري التي شكلها السود بعدما قرروا مقاطعة شركة الحافلات هناك. وقد تعرض كينغ لعدد من المحاكمات نتيجة مواقفه. فاتهم بمحاولة التدخل في شؤون شركة الحافلات. وتم تفجير منزله. ونظراً لإصراره على مواقفه وإخلاصه لحقوق السود أصبح كينغ معروفاً على نطاق الولايات المتحدة كقائد شجاع ومتحدث بارز باسم السود. وأدت الحملة الواسعة ضد الفصل العنصري إلى أن تتخذ شركة الحافلات في مونتغمري قراراً بإلغاء الفصل العنصري في خطوط النقل لديها.

إثر نجاح مقاطعة شركة الحافلات أراد كينغ والقادة السود الآخرون في الجنوب الأميركي أن يضعوا أساساً متيناً لنضالهم السلمي فأنشأوا "مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية" في عام 1957. انتخب كينغ رئيساً للمؤتمر. وطوال ذلك العام قام كينغ بحملة من أجل حصول السود على الحق بالتصويت. ونشر كتابه الأول "الطريق الطويل إلى الحرية". وفي عام 1958 سافر كينغ إلى الهند لكي يزيد معرفته بفلسفة الزعيم الهندي غاندي عن العصيان المدني، الحركة المعروفة باسم "ساتيا جراها". وفي عام 1959 قدم استقالته من الكنيسة البابوية في مقاطعة دكستر وعاد إلى أطلانتا حيث المركز الرئيسي لمؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية. ومكنته العودة إلى أطلانتا من مساعدة والده في أعماله الكنسية.

منذ حركة المقاطعة لم يكن كينغ قد شارك في تنظيم أي احتجاجات جماهيرية. إذ ترك تلك المهمة إلى الطلاب السود الجامعيين الذين قادوا الإحتجاجات إبان عام 1960. وقد أبدى

تعاطفه مع هؤلاء الطلاب رغم أن كثيرين منهم وجهوا النقد له كتعبير عن رغبتهم في الإستقلال عنه.

في عام 1960 دعيت زوجة كينغ كوريتا سكوت كينغ لتشارك في الحملة الإنتخابية للمرشح للرئاسة الأميركية جون كينيدي. وقد أدت مشاركتها في الحملة إلى زيادة دعم السود لكينيدي. وشهد عام 1961 عودة "مسيرات الحرية" التي يقودها الطلاب. وأكدت وجود حركة طلابية مستقلة غير تابعة بالضرورة لكينغ. بيد أن كينغ سعى من جانبه إلى تنظيم حملة احتجاج ناجحة وغير صدامية مع الحركة الطلابية. وأشرف على المظاهرات الجماهيرية في مقاطعة برمنغهام في ولاية ألاباما. تلك المظاهرات التي ردت عليها قوات الشرطة بعنصرية شديدة. لكن المتظاهرين تصدوا بشجاعة للشرطة التي استخدمت خرطوم المياه وكلاب الحراسة. مما أدى إلى ردود فعل عنيفة شملت العالم كله. الأمر الذي دفع الرئيس كينيدي إلى أن يتعهد في تموز من عام 1962 بأن يقدم تشريعاً أو مشروع قانون للحقوق المدنية الموسعة إلى الكونغرس. وقد صدر القانون بالفعل في عام 1964. غير أن الإحتجاجات الجماهيرية تواصلت في العاصمة واشنطن. وكان أهمها المسيرة الكبيرة التي تمت في 28 آب من عام 1963 وشارك فيها ربع مليون إنسان من السود والبيض. وهي المسيرة التي ألقى فيها كينغ خطابه الشهير المعروف بعنوان "أنا عندي حلم"

وكان من نتائج النضال الذي قاده كينغ أن اختارته مجلة "تايم" رجل العام. كما حصل على جائزة نوبل للسلام في كانون الأول من عام 1964. وبالرغم من كل الجوائز التي حصل عليها كينغ والنجاح الذي حققه فإن قيادته للسود تعرضت للتحدي من جانب قيادات سوداء أخرى مثل مالكولم إكس الذي دافع عن القومية السوداء فيما عرف بـ"القوة السوداء". وفيما يلي نص الخطاب الشهير لكينغ: "قبل عقود من الزمان وقع الأميركي العظيم الذي نفق اليوم تحت

ظله الرمزي قرار إعلان تحرير الزوج. وجاء هذا القرار الهام أملاً للملايين من الزوج العبيد الذين عانوا واحترقوا بلهب الظلم المزري. جاء كفجر مشرق لينهي سنوات الليل الطويل تحت الأسر. لكن.. وبعد مئة سنة من ذلك الإعلان يجب أن نواجه الحقيقة المساوية: الزوجي ليس حراً. بعد مئة سنة ما زالت حياة الزوجي مشلولة بقيود العزلة وأغلال التمييز. بعد مئة سنة ما زال الزوجي يعيش في جزيرة من الفقر المدقع وسط محيط شاسع من الرخاء الإقتصادي. بعد مئة سنة ما زال الزوجي يعاني في أنحاء مجتمعه وما زال يعتبر نفسه منفياً في أرضه. لقد جننا هنا اليوم نعبر عن حالتنا المريعة. جننا لعاصمة وطننا لنصرف الصك الذي ورثنا إياه بناءة جمهوريتنا عبر الكلمات الرائعة للدستور وإعلان الإستقلال. لقد وقعو كميالة الحقوق وورثوها لكل أميركي. كان الصك يتضمن وعداً بضمان الحقوق الراسخة في الحياة. حق الحرية والسعي للسعادة. ومن الواضح اليوم أن أميركا قد قصرت في دفع هذا الصك المستحق بسبب نظرتها إلى ألوان مواطنيها. وبدلاً من القيام بهذا الواجب المقدس أعطت مواطنيها الزوج صكاً سيئاً كتب عليه: الرصيد غير كاف. لكننا رفضنا أن نصدق أن بنك العدالة مفلس. ورفضنا التصديق أن الرصيد غير كاف للوفاء في ظل الفرص الكبيرة المتاحة لهذا الوطن. لذا جننا لصرف هذا الصك. الصك الذي يعطينا ثروة الحرية وضمانات العدالة. جننا لهذه البقعة المقدسة لتذكير أميركا بحالة التطاحن التي نعيشها الآن. لا وقت لدينا للمشاركة الباردة. ولم تعد تسعفنا الأدوية المهدئة بطيئة المفعول. لقد حان الوقت لنرتفع من عزلة الوادي المظلم المهجور إلى طريق العدالة المشمس. لقد حان الوقت لفتح أبواب الفرص المتساوية لكل أطفال الله. لقد حان الوقت لرفع وطننا من رمال الظلم العنصري المتحركة إلى صخرة الأخوة المتينة. سيكون خطأ قاتلاً للدولة إن أغفلت الظروف الصعبة التي يعيشها الزوجي واستهانت بإصراره على نيل حقوقه. لن يمر هذا الصيف الحار على الزوجي الساخط حتى يصل إلى خريف نشطب فيه الحرية والمساواة. لن يكون العام 1963 النهاية.

بل سيكون هو البداية. وسيباغت أولئك الذين يعتقدون أن ما يجري إنما هو تنفيس عن غضب يمارسه الزوج وأنهم سيعودون لممارسة أعمالهم المعتادة غداً ولن ينعم الوطن بالهدوء حتى يحصل الزوجي على كل حقوقه الوطنية. وستستمر رياح الثورة في هز أسس الدولة حتى اليوم الذي تتحقق فيه العدالة للجميع. لكن هناك شيئاً يجب أن أقوله لشعبي الذي يقف على العتبة الدافئة التي تتصدر قصر العدل: "للحصول على حقوقنا المشروعة يجب أن لا نتورط في أعمال خاطئة. دعونا لا نحاول إرضاء عطشنا للحرية بالشرب من كأس القسوة والكرهية. للأبد يجب أن لا نسمح لاحتجاجنا الخلاق أن يتدهور إلى العنف الجسدي. دائماً يجب أن نرتقي إلى حيث تلتقي قوة الروح بقوة الجسد. النضال الجديد الرائع الذي غمر المجتمع الزوجي يجب أن لا يقودنا للإرتياب بالبيض. كثير من أخوتنا البيض، كما هو ملاحظ بوجودهم هنا اليوم قد جاءوا مدركين أن قدرهم مقيد بقدرنا، وأن حريتهم لا تنفك عن حريتنا. لا يمكن أن نمشي وحيدين. لكننا ونحن نمشي يجب أن نضع تعهداتنا أمامنا. لا يمكن أن نعود للخلف.. هناك هؤلاء الذين يسألوننا متى سترضون؟! لا يمكن أن نكون راضين أبداً ما دامت أجسامنا متعبة بالسفر لأننا لا نستطيع الإقامة في فنادق الطرق السريعة وفنادق المدن.. لا يمكن أن نكون راضين ما دام كل ما يستطيع الزوجي هو الانتقال من حي فقير أصغر إلى حي فقير أكبر قليلاً. لا يمكن أن نكون راضين أبداً ما دام الزوجي في مسيسيبي لا يمكن أن يصوت. والزوجي الآخر في نيويورك لا يصوت لأنه يعتقد أن لا شيئاً لديه ليصوت من أجله. لا. لا. نحن غير راضين. ولن نكون راضين حتى تهبط العدالة مثل المياه وتكون الإستقامة مثل السيل العظيم. أنا غير غافل أن بعضكم قد جاء محملاً بالتجارب والمحن الكبيرة. وبعضكم قد جاء من الزنزانات الضيقة. وبعضكم قد جاء من مناطق حيث تحطم حلم البحث عن الحرية بعواصف الإضطهاد ووحشية الشرطة. متمرسون أنتم بالمعاناة. لكن لتستمروا بالعمل مؤمنين بأن المعاناة هي سبيل الإعتاق. ارجع إلى مسيسيبي ارجع إلى ألاباما. ارجع إلى جورجيا.

ارجع إلى لوبزيانا. ارجع إلى المناطق العشوائية والأحياء الفقيرة لمدننا الشمالية. واعلم بأن هذه الأوضاع ستتغير. دعنا لا نسكن في وادي اليأس. أقول لكم أصدقائي. بالرغم من الصعوبات والإحباطات ما زال لدي حلم. حلم متأصل في الحلم الأميركي. لدي حلم أنه في يوم من الأيام ستتهض هذه الأمة لتعيش معنى عقيدتها الحقيقي: نؤمن بهذه الحقيقة: أن كل الرجال خلقوا متساوين. لدي حلم أنه في يوم من الأيام وعلى تلال جورجيا الحمراء سيكون أبناء العبيد وأبناء ملاك العبيد السابقين قادرين على الجلوس معاً إلى مائدة إخاء. لدي حلم أنه في يوم من الأيام أنه حتى مسيسيبي التي تتسبب عرقاً من حرارة الظلم والإضطهاد ستتحول إلى واحة حرية وعدالة. لدي حلم أن أطفال الأربعة سوف يعيشون في يوم من الأيام في دولة لن تعاملهم بلون جلدهم لكن بمحتويات شخصيتهم. لدي اليوم حلم. لدي حلم أنه في يوم من الأيام وفي ولاية ألاباما التي تنتثر شفتا حاكمها عبارات التحلل وإلغاء الآخر ستتحول إلى مكان حيث يستطيع أولاد سود صغار وبنات سود صغيرات أن يتصافحوا مع الأولاد البيض الصغار والبنات البيض الصغيرات ويمشوا معاً كأخوات وأخوة. لدي حلم اليوم. لدي حلم أنه في يوم من الأيام سيعلو كل واد، وسينخفض كل تل وجبل، ستتضح الأماكن الوعرة، وستستقيم الأماكن المعوجة. وسيعلمن مجد الرب. وسيكون كل هذا هو الإيمان الذي أعود به إلى الجنوب. وبهذا الإيمان سنخرج من جبل اليأس نواة أمل. وبهذا الإيمان سنحول التنافر في أمتنا إلى سيمفونية أخوة جميلة. بهذا الإيمان سنعمل معاً ونصلي معاً ونقاتل معاً ونذهب إلى السجن للدفاع عن الحرية معاً مؤمنين بأننا سنكون أحراراً ذات يوم. عندما تصدح الحرية.. عندما نتركها تصدح في كل قرية وكل ضاحية. في كل ولاية وكل مدينة. عندها سنعمل الوصول إلى ذلك اليوم. اليوم الذي يقف فيه كل عيال الله متساوين: البيض والسود، اليهود وغير اليهود، البروتستانت والكاثوليك.. حين ذاك سنتصافح ونغني كلمات الأنشودة الزنجية القديمة: أحراراً أخيراً. شكراً يا إلهي نحن أحرار أخيراً".

في عام 1968 ذهب مارتن لوثر كينغ إلى مدينة ممفيس لدعم إضراب قام به عمال النظافة فيها. وعندما وقف على الشرفة في الطابق الأول لفندق لورين ليلقي خطابه وقبل أن ينطق بكلمة أطلقت عليه رصاصة وضعت نهاية لحياته ولحلمه الأميركي "أنا عندي حلم". وقد أدى اغتياله إلى حوادث عنف وشغب امتدت إلى مائة مدينة أميركية. وأدت إلى عملية اقتناص للقائل لم تشهدها أميركا حيث تم القبض على راي في مطار هيثرو بعد شهرين من الحادث، وتمت إعادته إلى الولايات المتحدة للمحاكمة. في البداية كان الإتهام واضحاً حيث وجدت بندقية عليها بصمات جيمس أرييل راي. فوضع في سجن ناشفيل بعد معارك قضائية فاشلة لإثبات براءته من دم كينغ. وكان راي قد اتهم بقتل كينغ بعد هروبه من سجن ولاية ميسوري. واعترف بالقتل من أجل تخفيف الحكم عليه بدلاً من الإعدام. وحكم عليه بالسجن لمدة 99 عاماً. وقال فيما بعد بأنه تعرض لعملية خداع من قبل بائع أسلحة يدعي راول، وأنه كان يقوم باستبدال عجلة سيارته في وقت الحادث. إلا أن الغموض ما يزال يلف عملية اغتيال داعية الحقوق المدنية كينغ وأحد رموز المقاومة الوطنية السلمية في الولايات المتحدة في القرن العشرين.

حصل كينغ على درجة الدكتوراه في اللاهوت ورفض عروض العمل في الجامعات. وقرر العودة إلى الجنوب للعمل كقسيس في كنيسة معمدانية في مدينة مونتغمري في ولاية ألاباما. ثم صعد سريعاً إلى مصاف القيادة في حركة الحقوق المدنية نظراً لثقافته الرفيعة وقدراته الإستثنائية في الخطابة. وانخرط في مقاومة سلمية لنظام الفصل العنصري الذي كان سائداً في الولايات المتحدة. وتعرض للإعتقال مرات عديدة. كما أقيمت قنبلة على منزله. صدر له في عام 1958 كتابه الأول "خطوات نحو الحرية: قصة مونتغمري". وقام في عام 1959 بجولة في الهند. حرر في عام 1963 من داخل سجن بيرمنغهام أطروحة في شكل رسالتين قدم فيهما عدداً من المحاور الفكرية عن المقاومة السلمية اللاعنافية. وحدد فيها موقع



الزواج في الحياة الأميركية. وفيما يلي فقرات من الرسالة الأولى المليئة بالدلالات: "أعتقد أنه علي أن أشير لسب وجودي في بيرمنغهام. إذ أنكم قد تأثرتم بوجهة النظر التي تجادل ضد "قدوم الغرباء". لقد حظيت بشرف الخدمة كرئيس لمؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية. وهي منظمة تعمل في كل الولايات الجنوبية ولها مقرات في أطلنتا في ولاية جورجيا. كما أننا مندمجون مع ما يقارب خمساً وثمانين منطقة منتشرة في الجنوب. وإحدى هذه المنظمات هي الحركة المسيحية لحقوق الإنسان في ألاباما. وكثيراً ما نشترك مع المنظمات المندمجة معنا في ألاباما أن نكون على استعداد للمشاركة في برنامج عمل مباشر سلمي إذا دعت الضرورة لذلك. وحينها قبلنا عن طيب خاطر. وعندما أزفت الساعة أوفينا بوعودنا. ولهذا فنحن هنا لأننا قد دعينا إضافة إلى ارتباطات تنظيمية لمجموعتنا. إن السبب الأهم لوجودي في بيرمنغهام هو وجود الظلم فيها. تماماً كما كان الأنبياء في القرن الثامن قبل الميلاد يتكون قراهم ويحملون عبارتهم "هكذا قال الرب" لحدود أبعد كثيراً من حدود بلدانهم. وتتماماً كما ترك بولس الرسول قريته طرسوس وحمل بشارة يسوع المسيح إلى أبعد بقاع العالم الإغريقي الروماني. لهذا أنا مجبر على حمل بشارة الحرية إلى ما وراء بلدتي. ومثل بولس فإن علي أن أستجيب باستمرار لنداء المقدونيين طلباً للمساعدة. وعلاوة على ما تقدم أنا مدرك لعلاقة التأثير المتبادل لكافة المجتمعات والولايات. أنا لا أستطيع أن أجلس مسترخياً في أطلنتا ولا أكثر بما يحدث في بيرمنغهام. إن وجود الظلم في أي مكان هو تهديد للعدالة في كل مكان. إننا عالقون في شبكة لا فكاك منها من التبادلية. ونحن مشدودون إلى خيط القدر ذاته. وإذا كان أي شيء يؤثر على أي فرد مباشرة فإنه يؤثر على الكل بصورة غير مباشرة. إن أي شخص يعيش داخل الولايات المتحدة لا يمكن أن يعتبر غريباً في أي مكان داخل حدودها. لقد استنكرتم التظاهرات الجارية في بيرمنغهام. لكن يؤسفني أن أقول بأن بيانكم قد أخفق بأن يظهر اهتماماً مشابهاً بالظروف التي أدت إلى قيام التظاهرات. أنا على ثقة من أن ما من أحد

منكم يرغب بأن يستكين للإقتناع بذلك الضرب من التحليل الإجتماعي السطحي الذي يبحث في التأثيرات وحسب، ولا يتناول القضايا الأساسية. وأنه لمن المؤسف قيام التظاهرات في بيرمنغهام. لكن الأكثر مدعاة للأسف هو أن هيكل السلطة من البيض في المدينة لم يترك لمجتمع الزوج أي خيار آخر. في أي حملة سلمية هناك أربع خطوات أساسية: جمع الحقائق لتحديد عما إذا كان الظلم موجوداً، التفاوض، التطهير الذاتي، العمل المباشر. لقد مررنا في بيرمنغهام بكل هذه الخطوات. ولا يمكن أن يكون هناك من ينكر حقيقة أن الظلم العرقي يطبق على هذا المجتمع. وربما كانت بيرمنغهام هي المدينة التي يتمكن منها الفصل العنصري على أشد ما يكون في الولايات المتحدة. وسجلها البشع من القسوة معروف على نحو واسع. لقد مر الزوج بمعاملة تتسم بالظلم الفادح في المحاكم. وفي بيرمنغهام قضايا تخص تفجير منازل وكنايس زوج لم يكشف عن فاعليها في أي مدينة أخرى في البلاد. هذه هي الحقائق القاسية والثابتة لهذه الحالة. وبناءً على هذه الظروف سعى قادة الزوج للتفاوض مع قادة المدينة. لكن هؤلاء رفضوا بعناد الإنخراط في مفاوضات صادقة".

هذا هو مارتن لوثر كينغ. وهذه هي مسيرته ومسيرة الزوج في الولايات المتحدة الأميركية من أجل الحرية. وبالغ الدلالة أن يأتي بعد ثلاثين عاماً على استشهاد مارتن لوثر كينغ إلى سدة الرئاسة في الولايات المتحدة الأميركية مواطن أميركي من أصل أفريقي بأصوات البيض والسود على حد سواء. لكن المعركة من أجل الحرية لم تنته بعد. وسيظل اسم مارتن لوثر كينغ رمزاً تاريخياً لحرية السود في الولايات المتحدة الأميركية.